أفتقر إليه من الجلد والشجاعة ، وأدفع يدى فأطوقك بذراعى ، وأضمك إلى صدرى ، وألثم خدك الصابح ، وأمسح على شعرك الأثيث المرسل على ظهرك وجانب محياك الوضىء ، وأتملى بحسنك ، وأنشر فى كهف صدرى المظلم نور البشر والطلاقة ، فتدفعين ذراعك الغضة ، وتتناولين ببنانك الدقيقة ورقة مما كتبت ، وترفعينها أمام عينيك ، وتزوين مابينهما ، وتتخذين هيئة الجد الصارم ، وتفيضين على نفسك السمحة العطف ، وأنت مضطجعة على ذراعى ، سمتا وأبهة يغريان بالابتسام ، وأنا أنظر إليك وفى قلبى سكينة ، وجوى من قربك معطر بمثل أنفاس الروضة الأنف فى البكرة الندية ، وألمح شفتيك الرقيقتين تختلجان وعينيك تلمعان ، فتطيب نفسى بسرورك الصامت ، ثم أسمع ضحكتك الفضية ، وأراك تغطين وجهك الحلو بالورقة ، فيستطيرنى الفرح ، ويستخفنى الجذل ، ولكنى أتظاهر بالخوف على الورقة التى لا قيمة لها أن يمزقها أنفك الجميل فترمين رأسك على ذراعى ، وينسدل شعرك الذهبى المتموج كالستار ، وتصافح سمعى من ضحكاتك العذبة موجات لينة .

ثم تعتدلين على ساقى وتدفعين ذراعيك فتطوقين بهما عنقى ، وتجذبين وجهى اليك ، ولكنك تشفقين على رقة شفتيك من خشونة خدى فتلثمين أذنى الطويلة وتعضينها أيضا ـ فأصرخ ، فتثبين الى قدميك خفيفة مرحة ، وتخرجين بعد أن خلفت فى صدرى انشراحا ، وفى قلبى رضا ، وفى روحى خفة ، وفى نفسى شفوفا ، وفى أملى بسطة واتساعا ، وفى خيالى نشاطا ، فأضطجع مرتاحا ، وأغمض عينى القريرة بحبك ثم أفتحها على :

صيد حرمناه على إغراقنا　　فى النزع ـ والحرمان فى الإغراق

إى والله ، لولا الإغراق ما كان الحرمان . وهل هو إلا الشعور به من الإسراف فى الرغبة ، واللجاجة فى الطلب ؟ .

بل أفتح عينى على جثة صغيرة حملتها بيدى هاتين الى قبرها ، وأنزلتها فيه ، ووسدتها التراب بعد أن سويته لها بكفى ، ورفعت من بينه الحصى الدقاق ، ثم انكفأت الى بيتى جامد العين وعلى شفتى ابتسامة متكلفة ، وفى فمى يدور قول ابن الرومى .

لم يخلق الدمع لامرىء عبثا　　الله ادرى بلوعة الحزن